

نماذج من المواقف الانفعالية في القرآن



«لقد اشتمل القرآن الكريم على مواقف انفعالية، أسوق منها على سبيل المثال المواقف الانفعالية التي عاشها نبيّ ﷺ مع العبد الصالح ويروي البخاري في صحيحه بسبب هذه القصة: عن عمرو بن دينار قال أخبرني سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفاً البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل، فقال ابن عباس: كذب عدو الله، حدثني أبي بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسُئِل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه، إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى: يا رب كيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكث، فحينما فقدت الحوت فهو ثم. فأخذ حوتاً فجعله في مكث ثم انطلق، وانطلق معه فتاه، يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رأسيهما فناما، واضطرب الحوت في المكث فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سرباً... فلما استيقظا نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً، قال: ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر الله به، فقال له فتاه: (قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذُكَّرَهُ وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) (الكهف/ 63) قال فكان للحوت سرباً، ولموسى وفتاه عجباً، فقال موسى: ذلك ما كنا نبغي...» (الحديث).

ومن هنا يحين بدء الأحداث التي أثارت انفعال نبيّ ﷺ مع موسى (ع)، حيث وجد بعد عودته إلى المكان الذي نسي فتاه فيه الحوت فوجد العبد الصالح الذي أخبره الله به ودار بينهما الحديث وطلب موسى (ع) من العبد الصالح أن يأذن له في صُحبتة ليتعلم منه ما به يرشد، فأنبأه بأنه لن يستطيع الصبر معه، فأبى موسى استعداداً لأن يكون إن شاء الله صابراً، فشرط عليه ثانية أن لا يسأله عن خبر ما يرى حتى يبدأه ببيان حقيقة الخبر، ثم انطلقا.

قال [تعالى]: (فَوَجَدَا عَبْدًا عِيدًا مِنْ عِيدَادِنَا آتِيَنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّامِنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عَلِيمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) (الكهف/ 65-71).

وهذا هو الموقف الانفعالي الأول، وهو انفعال مركب، لأن طبيعة الحدث أثارت عدة انفعالات مجتمعة، حيث أثارت في نفس موسى (ع) التعجب والاستغراب والاستبعاد والإنكار أيضاً، لما وقع من العبد الصالح للسفينة التي أركبهم أصحابها ولم يأخذوا منهم مالا، فإذا موسى (ع) يفاجأ بالخضر وهو يضرب أحد ألواح السفينة بالقدم فيحدث فيها خرقاً.

فانطلق موسى ثائراً منفعلاً متعجباً منكراً (قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) فذكره الخضر بما قد شرطه على نفسه قبل أن يصحبه فهدأت ثورة موسى (ع)، واعتذر له عما بدر منه.

(لقد نسي موسى ما قاله هو وما قاله صاحبه، أمام هذا التصرف العجيب الذي لا مبرر له في نظر المنطق العقلي!! والإنسان قد يتصور المعنى الكلي المجرد، ولكنه عندما يصطدم التطبيق العملي لهذا المعنى والنموذج الواقعي منه يستشعر له وقعاً غير التصور النظري، فالتجربة العملية ذات طعم آخر غير التصور المجرد، وهاهو ذا موسى الذي نبه من قبل إلى أنه لن يستطيع صبراً على ما لم يحط به خبيراً، فاعتزم الصبر واستعان بالمشيئة وبذل الوعد وقبل الشرط، هاهو يصطدم بالتجربة العملية لتصرفات هذا الرجل فيندفع مستنكراً).

ويأتي الموقف الانفعالي الثاني بوقع أشد فلا يملك موسى نفسه فينطلق منفعلاً ثائراً ناسياً العهد والشرط، وهو انفعال مركب أيضاً، يجمع بين التعجب والاستبعاد والإنكار حيث يرى الرجل الصالح يقتل غلاماً يلعب مع رفاقه دون جريمة ظاهرة تستوجب القتل، إضافة إلى أنه صبي لم يبلغ حتى يكون مسؤولاً عن أفعاله.

(فَإِنْ طَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي زَفْسًا زَكِيَّةً بِرِغْيٍ زَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا) (الكهف/ 74-76).

وهنا يعتذر موسى (ع) حين يذكره الخضر بما كان بينهما من شروط، لكنه في هذه المرة يقول إن لم أصبر على ما هو آتٍ فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً، ثم انطلقا، إلى أن مرا بقرية أهلها بخلاء، فوجدا فيها جداراً مائلاً يكاد يسقط فأقامه الخضر بيده، فقال موسى في ثورة هادئة وقد تملّكه العجب والاستغراب لما وقع: قوم أتيناكم فلم يطعمونا ولم يضيفونا.

(فَإِنْ طَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيْتُمَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْتُمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمْ مَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِيعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) (الكهف/ 77-78).

ثم أخذ الخضر في الكشف عن حقائق الأحداث التي أثارت انفعال موسى (ع).

(أَمْ مَّا السَّافِينَاتُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمْ الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرْدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا * وَأَمْ الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبَدِّلَهُمَا شِدْهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) (الكهف/ 82-79).

يبين □ سبحانه الأسرار الكامنة وراء الوقائع والأحداث التي قام بها العبد الصالح في صُحبته موسى (ع)، والتي كان وقعها عليه شديداً قبل أن يعلم حقيقة الخبر وسره الممكنون. ►

المصدر: كتاب تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس